٣٥٥
السنة السابعة
الخميس ١٩/١/٢٠١٢م
٢٥ صفر ١٤٣٣هـ

الخميس

العتبة العباسية المقدسة

اسبوعية ثقافية يصدرها قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

إذا اشتدَّ شوقي زرتُ قبرَكَ باكياً
فيا ساكنَ الغبراءِ علّمتني البُكاء
فإنْ كنتَ عني في التراب مُغيَّباً
أنوحُ وأشكو لا أراكَ مجاوبي
وذكرُكَ أنساني جميعَ المصائبِ
فما كنتَ عن قلبي الحزين بغائبِ

بالقراءة المتأنية للتاريخ نجد أن السياسة هي التي أوجدت المذاهب الأربعة وحاربت كل من تمذهب بغيرها. ولو عملت السياسة بالمذاهب الأخرى مثلما عملت بالمذاهب الأربعة لكانت موجودة الآن يتعبد بها الناس ولا يرضون بغيرها بدلاً.

فمعتنقوها خلقوا فوجدوا هذه المذاهب في مجتمعاتهم وتبنوها، هذا كل ما في الأمر، وليس في هذا دليل على وجوب اتباعها.

يقول المقريزي: استمرت ولاية القضاة الأربعة من سنة ٥٦٦ هـ حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب الإسلام غير هذه الأربعة، وعودي من تمذهب بغيرها، وأفتى فقهاؤهم في هذه الأمصار بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها، والعمل على هذا إلى اليوم، وأعلن الظاهر بيبرس سد باب الاجتهاد، ومازال أمر بيبرس نافذاً بالرغم من زوال ملكه.

قال عبد المتعال الصعيدي: وإني أستطيع أن أحكم هنا بأن منع الاجتهاد قد حصل بطرق ظالمة، وبوسائل القهر والإغراء بالمال، ولا شك أن هذه الوسائل لو قدرت لغير المذاهب الأربعة التي نقلدها الآن لبقي لها جمهور يقلدها أيضاً، ولكانت الآن مقبولة عند من ينكرها.

المستبصر مروان خليفات

د. إحسان الغريفي

مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ

إذا كانت أعمال الرجل خارج المنزل شاقة وكثيرة، فلا تقلّ مهمة المرأة عن الرجل في بناء المجتمع والأسرة بل عملها كثير ومهمتها في المنزل شاقة، فلا يقتصر عملها على تربية الطفل، وبناء الأسرة، بل إنَّ أخلاقها هي المؤثرة في كمية نشاط الزوج وحسن عمله، فهي الشريكة حقيقة داخل البيت وخارجه، وإنَّ ثناء المرأة على زوجها سوف يوفر لها منزلة سامية في قلبه، كما إذا امتداح الرجل زوجته سيجعل له مكاناً مؤثِّراً في قلبها، وقد ثمَّن الإسلام جهود المرأة وأثابها على أعمالها؛ فقد جاء في كتاب وسائل الشيعة: قول المعصوم عليه السلام: (ما من امرأة تسقي زوجها شربة من ماء إلا كان خيراً لها من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، ويبنى الله لها بكل شربة تسقي زوجها مدينة في الجنة وغفر لها ستين خطيئة).

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: (المرأة الصالحة خيرٌ من ألف رجل غير صالح، وأيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق الله عنها سبعة أبواب النار وفتح لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أيها شاءت).

وقال الشيخ المفيد (ره) في أحكام النساء: وعلى المرأة أن تطيع زوجها، ولا تعصيه إلَّا فيما حظره الله تعالى، وليس لها أن تخرج من منزله إلا بإذنه، ولا تغضبه، ولا تسخطه، ولا تهاجره، ولا تشاقه، وعليها أنْ تحفظ نفسها عليه، وتؤدِّي أمانته إليه، وتلين له في الكلام، وتسرُّه في جميع الفعال.. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (جهادُ المرأة حُسْنُ التبعُّل). وقال صلى الله عليه وآله: (لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها). وليس للمرأة أن تتصرف في مال بعلها إلا بإذنه، فإن ضيَّق عليها في القوت والمأدوم، كان لها أن تأخذ من ماله بغير إذنه ما لا بد لها منه، ولا تأخذ أكثر من ذلك.

إعداد / السيد محمد العطار

آفات اللسان

إن اللسان جارحة لها الصدارة في الخطورة بين الجوارح وتعتريه الكثير من الآفات والموبقات الواجب اجتنابها والحذر منها، ومن هذه الآفات:

١. الخوض في الباطل:

يقول المولى الكريم حكاية عن بعض أهل النار قولهم ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾. وهو الدخول في أي حديث وأي كلام بلا حساب ولا تدبر ولا وعي، وقد ورد عن النبي ﷺ: (أعظم الناس خطايا يوم القيامة هو أكثرهم خوضاً في الباطل).

٢. المراء والمجادلة:

فترك الجدال والمماراة تتوقف عليه استكمال حقيقة الإيمان، وعنه ﷺ: (لا يستكمل عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتى يدع المراء والجدال وإن كان محقاً). فالمراء والجدال مع الكون على الحق مبغوض لله ولرسوله فكيف إن كان بالباطل، فعنه ﷺ: (من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع).

٣. الفحش والسب واللعن:

ولعل هذه الآفات هي أكثر الآفات شيوعاً، واللسان أسرع إليها من غيرها، فترى الناس في حال الغضب يسبون ويلعنون بالفاحش من الكلام وفي الرضا كذلك لا يتورعون، ولكن هل يا ترى من يلعن أو يتفحش أو يسب يكون مؤمناً؟ يجيب عن ذلك الرسول الأعظم(ص): (ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعان ولا الفحاش ولا البذي).

ولذا فقد وصفه الرسول ﷺ لزوجه عائشة قائلاً: (يا عائشة، لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء).

٤. السخرية والاستهزاء:

فإنهما من الكبر، قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ﴾ الحجرات: ١١.

٥. إفشاء السر:

والسر من أعظم الأمانات، ولذا فإفشاؤه خيانة والله لا يحب الخائنين، وقد عبر الرسول ﷺ عن كتمان ما يسمع الإنسان في المجلس الذي يحضره بقوله: (المجالس بالأمانات). وقال ﷺ أيضاً: (الحديث بينكم أمانة).

٦. الكذب:

وهو آفة الآفات، وقد روي عن آل بيت العصمة عليهم السلام أن المؤمن يمكن أن يرتكب أي موبقة إلا الكذب، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب).

٧. الغيبة:

وهي أيضاً من أعظم الآفات وأشدها خطراً وأقبحها شكلاً، حتى شبه الله المغتاب بآكل الجيف، فقال: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الحجرات: ١٢ ..

فإن عاقبة الغيبة هي الخروج من ولاية الله وحتى الشيطان لا يقبله في ولايته فقد ورد: (من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط عن أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله).

عذاب اللسان:

لما كانت أخطار اللسان بمستوى ما ذكر وآفاته على هذه الدرجة، فإن الجوارح تستعيذ يومياً من شره، والله يعذبه عذاباً لا يعذب به جارحة غيره.. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (يعذب الله اللسانَ بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح فيقول: أي رب، عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً! فيقال له: خرجتْ منك كلمةٌ فبلغتْ مشارق الأرض ومغاربها فسُفك بها الدم الحرام، وانتُهب بها المال الحرام، وانتُهك بها الفرج الحرام، وعزتي وجلالي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من جوارحك).

ما العمل مع اللسان؟

لم يتركنا الله تعالى ولا الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام حيارى في اكتشاف جواب هذا السؤال، بل هم أجابوا بذلك، فكان لديهم أول العلاج:

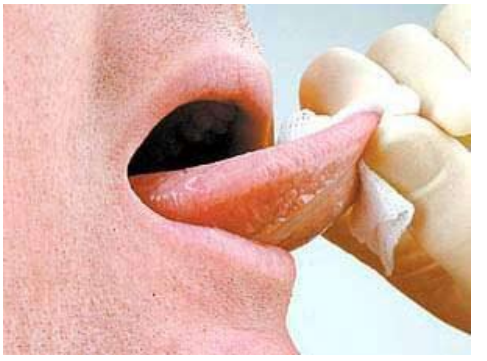

١- الصمت والسكوت: فعن رسول الله ﷺ: (من صمت نجا). وقد أمرنا أهل البيت أن نخزن ألسنتنا كما يخزن صاحب المال ذهبه وفضته.. فعن أمير المؤمنين في نهج البلاغة: (واجعلوا اللسان واحداً وليخزن الرجل لسانه فإن هذا اللسانَ جموحٌ بصاحبه، والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يختزن لسانه). وعن الإمام الباقر عليه السلام: (إنما شيعتنا الخرس).

٢- قول الخير والتي هي أحسن: يقول تعالى في ذلك: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الإسراء: ٥٣. وقال الرسول ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت).

٣- ذكر الله: فاللسان آلة ذكر الله، وليستغل الإنسانُ لسانَه بذكر الله تعالى لا بذكر غيره.. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ الأحزاب: ٤١.

٤- التفكر قبل الكلام: وهذا العلاج لكل آفات اللسان، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: (وإن لسان المؤمن وراء قلبه، وإن قلب المنافق من وراء لسانه؛ لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه؛ فإن كان خيراً أبداه وإن كان شراً واراه، وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه).

مع النبي ﷺ في آخر وصاياه

إعداد /منير الحزامي

لا يخفى على الإنسان المؤمن بأنه قبل أن تحضره الوفاة أن يذكر وصيته لأحد أبنائه أو للمقربين من أهل بيته؛ لكي لا تحصل من بعده الخلافات والمنازعات؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ١٨٠.

وقد روي بأن رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة أوصى بعدة وصايا لخليفته من بعده أمير المؤمنين علي عليه السلام وللزهراء عليها السلام حيث أخبرهما بما يجري عليهما من مصائب فأمرهما بالصبر، وأوصى الأمة بالتمسك بالثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته عليهم السلام حتى لا يضلوا من بعده.. ولكن القوم جحدوا الوصية، وحاربوا أهل بيته عليهم السلام حقداً وظلماً..

ونحن إذ نمر بالذكرى الأليمة لفقده ﷺ، نذكر منها بعض المقتطفات التي اقتبسناها بتصرف من كتاب الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ للمحقق الكبير السيد جعفر مرتضى العاملي..

عن علي عليه السلام قال: «أوصاني النبي ﷺ: إذا أنا متُّ، فغسّلني بست قرب من بئر غرس، فإذا فرغت من غسلي، فادرجني في أكفاني، ثم ضع فاك على فمي. قال: ففعلت، فأنبأني بما هو كائنٌ إلى يوم القيمة».

وفي رواية: «لما حضر رسول الله ﷺ الموت دخل عليه علي عليه السلام فأدخل رأسه معه ثم قال: يا علي، إذا أنا مت فاغسلني، وكفني، ثم أقعدني، وسائلني، واكتب».

ونستفيد هنا من هذه النصوص عدة أمور:

١. حياة النبي ﷺ بعد موته:

ولأجل ذلك نقرأ في زياراتنا للمعصومين عليهم السلام: (أشهد أنك ترى مقامي، وتسمع كلامي، وترد سلامي).. بل إن الأخبار قد تواترت بحياة النبي ﷺ في قبره، وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام.. حتى إن صلاتنا معروضةٌ عليه ﷺ، وإن سلامنا يبلغه...

ويؤكد ذلك النص القرآني على أن النبي ﷺ شاهد على أمته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾، وشهادته على الأمة لا تقتصر على خصوص من عاشوا معه في حال حياته..

٢. علي عليه السلام هو الوصي:

إن وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام بأن يضع فمه على فمه، وسماعه منه ما هو كائن إلى يوم القيامة تؤكد أن لعلي عليه السلام خصوصية ليست لأحد سواه، وهي ترتبط بعلم الإمامة، من خلال اتصاله بالنبي ﷺ بعد موته..

٣. العلم بما هو كائن:

إن معرفة الإمام تقوم على ركنين:

أحدهما: النص الدال على الاختيار الإلهي لشخص بعينه لمنصب الإمامة.

والآخر: العلم الخاص، الذي يُؤْثِر الله به من يشاء من عباده.

وربما يحتاج أيضاً إلى إظهار الكرامة والمعجزة.

وقد ألمح الحديث السابق إلى ذلك، فأشار إلى الاختيار بما ظهر من وضع فمه عليه السلام على فم رسول الله ﷺ، وإظهار المعجزة بكلامه بعد موته..

والعلم الخاص هو: أنه ﷺ قد علّمه ما هو كائن، إلى يوم القيامة..

وصايا النبي ﷺ حول تجهيزه ودفنه:

وكان فيما أوصى النبي ﷺ به علياً عليه السلام قوله: «ضع يا علي رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك، وأمسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة، وتول أمري، وصل عليَّ أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي...

فأخذ علي عليه السلام رأسه، فوضعه في حجره.. ثم قُبِضَ ﷺ، ويد أمير المؤمنين تحت حنكه، ففاضت نفسه ﷺ فيها، فرفعها إلى وجهه، فمسحه بها، ثم وجَّهَهُ، وغمضه، ومد عليه إزاره، واشتغل بالنظر في أمره.

فإنا لله وإنا إليه راجعون

ثواب الأعمال

قال رسول الله ﷺ:

من زارني بعد وفاتي، كان كمن زارني في حياتي، وكنتُ له شهيداً وشافعاً يوم القيامة.

(كامل الزيارات: ص ٤٥)

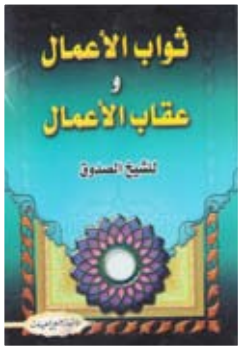

وعقاب الأعمال

قال رسول الله ﷺ:

مَن أتى مكّة حاجّاً ولم يزرني بالمدينة، جفوته يوم القيامة.

(كامل الزيارات: ص ٤٤)

عصمة الإمام عليه السلام

إعداد / السيد محمد الموسوي

تفردت الإمامية من بين الفرق الإسلامية بإيجابها عصمة الإمام من الذنب والخطأ، مع اتفاق غيرهم على عدمها. قال الشيخ المفيد: إن الأئمة عليهم السلام معصومون كعصمة الأنبياء، ولا تجوز عليهم صغيرة إلا ما قدم ذكر جوازه على الأنبياء، ولا ينسون شيئاً من الأحكام، ولا يدخل في مفهوم العصمة سلب القدرة عن المعاصي، ولا كون المعصوم مضطراً إلى فعل الطاعات، فإن ذلك يستدعي بطلان الثواب والعقاب.

هذه هي عقيدة الإمامية في الإمامة، وقد استدلوا عليها بوجوه من العقل والسمع.

أما العقل فقالوا: إن الإمام منفذ لما جاء به الرسول، وحافظ للشرع، وقائم بمهام الرسول كلها، فلو جاز عليه الخطأ والكذب، لا يحصل الغرض من إمامته.

حقيقة العصمة:

العصمة قوة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية والخطأ، حيث لا يترك واجباً، ولا يفعل محرماً، مع قدرته على الترك والفعل، وإلا لم يستحق مدحاً ولا ثواباً، وإن شئتَ قلتَ: إن المعصوم قد بلغ من التقوى حداً لا تتغلب عليه الشهوات والأهواء، وبلغ من العلم في الشريعة وأحكامها مرتبة لا يخطأ معها أبداً.

وليست العصمة فكرة ابتدعتها الشيعة، وإنما دلهم عليها في حق العترة الطاهرة كتاب الله وسنة رسوله، قال سبحانه: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»، وليس المراد من الرجس إلا الرجس المعنوي، وأظهره هو الفسق.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيفما دار)، ومن دار معه الحق كيفما دار، محال أن يعصي أو أن يخطأ، وقوله صلى الله عليه وآله في حق العترة: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً)، فإذا كانت العترة عدل القرآن والقرآن هو كلام الله تعالى، فمن المنطقي أن تكون معصومة كالكتاب، لا يخالف أحدهما الآخر.

ويمكن الاستدلال على لزوم العصمة في الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله، بوجوه متعددة، نورد أهمها:

الأول: إن الإمامة إذا كانت استمراراً لوظيفة النبوة والرسالة، وكان الإمام يملأ جميع الفراغات الحاصلة جراء رحلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فلا مناص من لزوم عصمته، وذلك لأن تجويز المعصية يتنافى مع الغاية التي لأجلها نصبه الله سبحانه إماماً للأمة، فإن الغاية هي هداية الأمة إلى الطريق المهيع، ولا يحصل ذلك إلا بالوثوق بقوله، والاطمئنان بصحة كلامه، فإذا جاز على الإمام الخطأ والنسيان، والمعصية والخلاف، لم يحصل الوثوق بأفعاله وأقواله، وضعفت ثقة الناس به، فتنتفي الغاية من نصبه، وهذا نفس الدليل الذي استدل به المتكلمون على عصمة الأنبياء، والإمام وإن لم يكن رسولاً ولا نبياً ولكنه قائم بوظائفهما.

الثاني: قوله سبحانه: «أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ»، والاستدلال مبني على دعامتين:

١ - إن الله سبحانه أمر بطاعة أولي الأمر على وجه الإطلاق، أي في جميع الأزمنة والأمكنة، وفي جميع الحالات والخصوصيات، ولم يقيد وجوب امتثال أوامرهم ونواهيهم بشيء كما هو مقتضى الآية.

٢ - إن من الأمر البديهي كونه سبحانه لا يرضى لعباده الكفر والعصيان: «وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ» من غير فرق بين أن يقوم به العباد ابتداءً من دون تدخل أمر آمر أو نهي ناهٍ، أو يقومون به بعد صدور أمر ونهي من أولي الأمر.

فمقتضى الجمع بين هذين الأمرين (وجوب إطاعة أولي الأمر على وجه الإطلاق، وحرمة طاعتهم إذا أمروا بالعصيان) أن يتصف أولو الأمر الذين وجبت إطاعتهم على وجه الإطلاق، بخصوصية ذاتية وعناية إلهية ربانية، تصدهم عن الأمر بالمعصية والنهي عن الطاعة.

آيات الله.. تدبر بها

اختلاف صور الناس وتشابه الوحوش والطير

من كلام لإمامنا جعفر الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر (رحمه الله):

اعتبر، لمَ لا يتشابه الناس واحدٌ بالآخر، كما تتشابه الوحوشَ والطير وغير ذلك؟! فإنك ترى السرب من الظباء والقطا تتشابه حتى لا يفرق بين واحد منها وبين الأخرى، وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة.

والعلة في ذلك: أن الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم؛ لما يجرى بينهم من المعاملات، وليس يجري بين البهائم مثل ذلك، فيحتاج إلى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته، ألا ترى أن التشابه في الطير والوحش لا يضرها شيئاً؟! وليس كذلك الإنسان؛ فإنه ربما تشابه التوأم تشابها شديداً، فتعظم المؤونة على الناس في معاملتهما، حتى يُعطى أحدهما بالآخر، ويؤخذ أحدهما بذنب الآخر.

(توحيد المفضل، ص ٤٥)

الإنسان ذلك الكائن العجيب

إعداد / السيد أبو رضا

الإنسان كائنٌ حي من أعقد الأحياء على وجه الأرض، فقد كشفت البحوث الطبية عن حقائق مذهلة تدل على عظمة الخالق تعالى القائل: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الذاريات: ٢١.

فالإنسان يتألف من عدد ضخم من الأجهزة أهمها القلب.. والقلب من أعجب الآلات في جسم الإنسان، فهو يضخ كل يوم أكثر من (٨٠٠٠) لتراً من الدم... وفي دماغ الإنسان أكثر من مئة ألف مليون خلية!! وفي كل عين يوجد أكثر من مئة مليون من المستقبلات الضوئية. وفي كل أذن أكثر من ثلاثين ألف خلية سمعية! وفي دم الإنسان أكثر من ٢٥ مليون مليون كرية حمراء وأكثر من ٢٥ ألف مليون كرية بيضاء.

وفي معدة الإنسان يوجد أكثر من ألف مليون خلية! وفي اللسان توجد أكثر من تسعة آلاف حليمة ذوقية. وفي كل يوم يتنفس الإنسان أكثر من ٢٥ ألف مرة يسحب خلالها اكثر من (١٨٠) ألف لتر من الهواء!

وهكذا حقائقٌ لا تنتهي وأرقام ضخمة أكبر من التصور.. كل هذه التعقيدات سخرها الله تعالى لراحة الإنسان واستمرار حياته على أحسن حال، يقول تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ السجدة: ٧.

لقد برز علم الحياة أو الأحياء إلى الوجود مع اكتشاف الإنسان لأسرار الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان.. والحقيقة الثابتة التي يؤكدها علماء الأحياء هي أنه لا وجود للحياة من دون ماء.. فالماء يمثل نسبة جيدة في تركيب خلايا أي كائن حي، وانعدام الماء يعني الموت! حتى إن عمل هذه الخلايا يعتمد أيضاً على الماء، فهو المحرك للتفاعلات الكيميائية داخل جسم الإنسان والحيوان والنبات. وهنالك شبه تأكيد لدى العلماء بأن الحياة بدأت من الماء، وهنا يأتي كتاب الله تعالى ليؤكد هذه الحقائق ويردّ جميع أشكال الحياة للماء، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الأنبياء: ٣٠.

ويقول تعالى عن بداية خلق الدواب التي تدبُّ على الأرض: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ النور: ٤٥.. حتى إن الأرض الجافة الميتة التي لا يُرى فيها أي مظهر للحياة عندما يُنْزِل الماء عليها تجد أن أشكال الحياة قد بدأت من النباتات والحشرات والحيوانات وغير ذلك، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ النحل: ٦٥.

إن العلماء اليوم يقولون إن هنالك آثاراً للماء على كوكب المريخ، وهذا ما يدفعهم للاعتقاد بأنه يمكن لحياة بدائية أن تكون موجودة على هذا الكوكب.. فالحقيقة العلمية المؤكدة هي أنه حيث يوجد الماء توجد الحياة، حتى إن الإنسان على سبيل المثال يتركب جسمه من الماء ومعادن وأشباه معادن.. ويشكل الماء في جسم الإنسان بحدود الثلثين! والثلث الباقي هو مواد جافة جميعها موجودة في التراب والماء أي الطين.. وهنا نتذكر قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الأنبياء: ٣٠.. ولكن ماذا عن مكونات الإنسان غير الماء؟ إنها بالضبط العناصر الموجودة في التراب. فمكونات الجسم البشري هي الكربون والكلور والكبريت والفوسفور والكالسيوم والحديد.. وغيرها وجميع هذه المواد موجودة في تراب الأرض. وهذا دليل علمي على أن الإنسان مخلوق من التراب.

وعندما يجتمع الماء والتراب يشكلان الطين، الذي هو أصل الإنسان. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ المؤمنون: ١٢. وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ الفرقان: ٥٤.

إن القرآن عندما يتحدث عن خلق الإنسان وتركيبه إنما يعطينا التفاصيل الدقيقة، ويخبرنا بمراحل خلق الإنسان وتطوره في بطن أمه وبشكل يوافق تماماً أحدث معطيات العلم.. فقد ثبت تماماً أن الإنسان يمر بمراحل في بطن أمه، وقد سمى القرآن هذه المراحل بالأطوار في قوله تعالى: ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ نوح: ١٤.

فسبحان الله! هذا الكائن العجيب الذي لديه قدرات هائلة من الذكاء والتطور والتحكم والسيطرة على كوكب الأرض، هذا الكائن الذي صعد إلى القمر، ووصل إلى المريخ، وتمكّن من استغلال ثروات الأرض بما سخره الله له، وهو في نهاية المطاف هو عبارة عن ماء وتراب!

نكران جميل / ٢

إعداد / أحمد السيلاوي

في العدد السابق حاولت (وداد) معرفة ما تعيشه (هدى) من آلام نفسية وحالة اليأس التي اعترتها بصورة مفاجئة التي اضطرتها إلى خلف الوعد مع صديقتها وداد، فصرحت لها هدى بأنها أصبحت تحس بشعور اليأس...

وهنا تساءلت وداد في لهفة: يأس؟! ولماذا اليأس يا هدى؟ ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، فكفكفت هدى دمعة جديدة قبل أن تسقط، وقالت: ليس يأسي من روح الله يا وداد، ولكنه في نفسي فأنا عندما أصادف ممن حولي بوادر جفاء أو ألمس منهم بعض علامات (النكران للجميل) أوعز ذلك إلى قصور في شخصي أو أسلوب تعايشي وتعاملي على صعيد الإيمان.. فأشعر بالأسى يمزق صدري وأقف بحيرة فلا أعرف كيف أتصرف.. فلا أنا أعرف مواطن تقصيري فأصلحها وأعتذر، ولا أنا أتمكن أن أبرّئ نفسي وأحمّل الآخرين المسؤولية فأنصح وأوجّه.

كانت وداد تستمع في اهتمام بالغ، ولما سكتت هدى بادرتها بالسؤال قائلة: والآن هل حدث شيء جديد؟

قالت هدى: حدث أو لم يحدث، المهم أن هذه الحالات عندما أخذت تلوح على مسرح حياتي بشكل متعاقب أصبحت تهدد روحياتي بالخطر.

قالت وداد: ولكن هناك في حياة المؤمن بعض الخطوط العريضة التي ترسم له طريقه في نوعية العطاء دينياً وأخلاقياً واجتماعياً، فما دمت يا أختاه واثقة من أنك لم تنحرفي عن هذه الخطوط فلا يجدر بك أن تتركي لليأس إليك سبيلاً.. راجعي نفسَك وحاسبيها وفتشي بين ثناياها عن مواطن الضعف والخَطأ، فأن وجدت منهما شيئاً فحاولي أن تجري لها عملية تنظيف ومسحَ كامل، ولكن بدون يأس؛ فإن الانسان المؤمن يسعى خلال حياته وراء هدف خير.. وهذا الهدف لا يتحقق إلا بعد تربية النفس تربيةً صالحة...

قالت هدى: ولكنني فتشتُ بين ثنايا نفسي فلم أجد ما يُؤخذ عليها، ومع ذلك فقد عُدتُ لأقول إن نفسي لَتخادعني بذلك، وهل يتمكن الإنسان أن يكتشف عيوبه بنفسه؟ ولهذا ترين أنني لجأتُ إليك تطبيقاً لقاعدة: أنَّ المؤمنَ مرآةُ أخيه المؤمن؛ لتكشفي لي عما قد يعشعش في روحي من أخطاء.

قالت وداد: أنت يا هدى لست ممن تسمح للأخطاء أن تجد إليها سبيلاً، ثم إنني لم ألاحظ عليك أي نقطة قد تدفعك إلى اليأس. إنك تستمتعين بروحيات مثالية و...

وهنا قطعت هدى كلمات وداد قائلة: أرجوك يا وداد أنا لم أقدمْ إليك لأستمع منك إلى كلمات المديح والإطراء.. لا يا عزيزتي، إنني أريد النصيحة فقط..

فابتسمتْ وداد لهذه المقاطعة وقالت: إنني شخصياً لم أجد في سلوكك ما يؤخذ عليه، وأنت لم تجدي ما يمكن أن يُدينُك... فنصيحتي إليك أن تسيَري في دروب الهدى، وتغرسي في كل تربة بذرة، وتزرعي في كل روض زهرة.. وإذا كان هناك مَن يشكّ في سلامة البذرة أو لا يستسيغ منظر الزهرة فإن ما ينبت عن البذرة وما يفوح من أريج الزهرة لكفيلان بجذبه إليهما من جديد بعد أن يثبتا وجودهما بشكل لا يقبل الجدل، وهذا هو الجانب المهم في حياة الإنسان المؤمن إذ إنه بطبيعة وجوده عطاءٌ، والعطاءُ إذا كان خيراً فهو لا يهدف إلا إلى تحقيق غايةٍ تقرّبُه من رضا الله..

ثم إنه لا يوجد شيء اسمه (نكران الجميل) ما دام الجميل من أجل الله وفي سبيل الله، والله (تبارك وتعالى) لا تضيع عنده الأعمال.. وهذا الشعور -بأن أعمال الإنسان لا تطلب التثمين إلا من الله وحده- هو الذي يعلّمه أن لا يزهد في فعل الخير، مهما كانت ردود الفعل التي يجابهها..

كانت وداد تتكلم وهدى تستمع في هدوء، ثم سكتت وداد فترةً لتجد آثار كلماتها على هدى، فلاحظت علامات التفهم والرضا واضحة على محياها فشجعها في الاسترسال بحديثها، فقالت: لا تدعي هذه النظرة القاتمة تلوّن حياتَك وأيامَك، وأنت ملء الوجود والحياة والمجتمع، أنت هدىً بكمالها وإيمانها وجهادها وصبرها وعملها، فلا تزهَدي في نفسك يا أختاه، أنت محطّ آمال ومنتجعُ أحلام، فعيشي هذا مع نفسك أيضاً.. أبعدي المَنظار القاتم عن عينيك فإنهما خُلقتا للتأمل والنظر البعيد والتطلع المشرق...

وهنا سكتت وداد تنتظر الجواب، وبعد فترة صمت قصيرة انبعث صوت هدى يقول في نبرة رصينة: ما أراك إلا وقد كشفت أمامي واقعاً كادت السحب السوداء أن تحجبه عني! وهو أننا بوجودنا وأعمالنا وتصرفاتنا نتجه إلى نقطة واحدة هي رضا الله سبحانه، فما دمنا لا نجد في أنفسنا ما يشير إلى انحرافنا عن تلك النقطة وذلك الهدف، فإن علينا أن نمضي في سيرنا دون أن يعيقنا شيء.

الظهور.. مرحلة العمل لا النعيم

إعداد / السيد محمد العطار

مرحلة الظهور هي أيضاً مرحلة المهام والمسؤوليات الجسام، فالمسألة ليست فقط أن نُمنّي أنفسَنا برخاء زمن الظهور ونعيم ذلك الزمن، لا بل هناك مسؤوليات تترتب علينا.. مسؤوليات تترتب على المؤمنين، بالأخص وكما تعلمون أن الإمام سيتولى شأن العالم، لكن هذا حينما يظهر ويبدأ بالتدريج بمسح الكفر ونشر الإسلام، جيوش وقتال، عمل دؤوب، إرسال الناس إلى أطراف البلاد، تعليم، يعني هل نتصور أن الصين مثلاً ستدخل في طاعة الإمام وأنهم سيصبحون في ليلة واحدة عارفين بأحكام الله ومطيعين وقارئين للقرآن؟ إنهم يحتاجون إلى مَن يعلمهم وإلى مَن يرشدهم.

على هذا ينبغي علينا نحن كنخبة شيعية تحمل هذا الهم وتحمل أهمية المرحلة وتعرف قدر المرحلة أن تتهيأ لهذه المسؤوليات الجسام.

من الذي سيحمل فكرة الإمام ودعوة الإمام إلى أطراف الأرض؟ الكفار أنفسهم؟ الكفار إنما ينتظرون الكلمة أن تخرج من هنا بالأخص من النجف، ذكرنا في عدة مرّات أن الإمام سيتخذ من هذه المدينة المباركة عاصمة له، يعني عاصمة العالم. من هنا سينطلق الناس، المبلّغ والمبلّغة، القائد العسكري، الحاكم الذي سيحكم أطراف الأرض، إنهم سينطلقون من هنا... دار حكومة الإمام هي الكوفة، ودار عبادته السهلة. فهذه بقعة ليست هيّنة، ونحن أناس نعيش الآن في بقعة خاصة، فإذاً علينا أن نتحمل مسؤوليات خاصة.

فالمسألة ليست فجائية، بل علينا أن نعدّ أنفسنا لذلك اليوم.. الإمام إذا أراد مجموعة من النساء المؤمنات لتعليم نساء بلد ما فإنه يُرسل إليهنّ امرأة، لكن ليست امرأة جاهلة ليس لها معرفة بالأمور الشرعية، أبداً، نعم الإمام يستطيع بمعجزة أن يحوّلها إلى عالمة، هذا ممكن، إلاّ أن الأمور لا تجري بالمعاجز دائماً.

الإمام إذا رأى طبقة من النساء واعية متمسكة بعقيدتها حريصة على خدمة الإسلام فأوّل ما يكلّفها هي، ويرتضيها.. فتكون النساء حينئذ الجند الثقافي للإمام في نشر الوعي بين نساء العالم.. نحن حينما نتحرك في زمن الظهور باتجاه العالم بقيادة الإمام سنتحرك عسكرياً، هذا صعيد، وسنتحرك تحركاً موازياً لذلك وهو التحرك الثقافي والديني الذي به نعلم الناس وهذا صعيد آخر، فالقضية ليست قضية سيف فقط، فالسيف للظلمة، وللمعاندين ولمن لا يقبل الدين ولمن يقف بوجه المهدي، أما الحركة الثقافية التي علينا أن ننشأها في ذلك الوقت بإمرة الإمام المهدي حركة فكرية تحتاج إلى كفاءات وإلى مستويات، وهذا ما يرتب علينا هذه المسؤولية بأن نعد أنفسنا ثقافياً وفكرياً وعقائدياً لتحمل هذه المسؤوليات الجسام.

فإذاً مرحلة الظهور ليست هي فقط مرحلة نعيم، وإنما هي مرحلة بناء، مرحلة عمل، مرحلة جهد وجهاد، وهذا أوّل ما يقع علينا قبل غيرنا، لأننا نحن الشيعة نفترض بأنفسنا أن نكون أقرب الناس إلى فكر الإمام وأكثر الناس شوقاً إلى لقائه وظهوره ونعيش في بقعة سيتخذها الإمام عاصمة له.

إذا كانت المرحلة القادمة هي مرحلة المسؤوليات فعلينا إذن أن نعدّ أنفسنا لهذه المسؤوليات ثقافياً ونفسياً، الإعداد النفسي بمعنى أن يكون الإنسان طوع يمين الإمام، وهذه مسألة قد لا تحصل لكل أحد، حتّى من يدرس العقائد ويتفقه قد لا تكون نفسه مطواعة.

تحرير: السيد محمد العطار / منير الحزامي
تصميم وإخراج: أحمد السيلاوي
دار الضياء للطباعة - النجف الأشرف ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢١٩ لسنة ٢٠٠٩
زوروا موقعنا على الموقع www.alkafeel.net - راسلونا على nashra@alkafeel.net
اتصلوا بنا.. الهاتف / بدالة ٣٢٢٦٠٠ داخلي ١٦٣